مقدمة

فى الحياة كثير من النواحى يتسنى أن تتآلف . لأن أصداءها تتجاوب بالطبيعة وان تنافرت مظاهرها فى الحياة العامة وفى تفكير بعض الناس الذين يعنون بهذه المظاهر .. ومن بين هذه النواحى : الجندية والأدب ..!!

فالجندية أساسها ـ فى رأى الناس ـ التجرد من العاطفة مع غلظة ورغبة فى سفك الدماء . . دون أى جزع أو تردد . والجندى مهما كانت مرتبته فى السلك العسكرى لا يكسب المعركة إلا عندما يعتل خصمه أو يجعله عاجزاً عن المقاومة دون أن تأخذه به رحمة أو هواده . . .

وصناعة الأدب قوامها الشعور بالإنسانية ، وأصحابها بحكم المشاعر العاطفية التى تملأ قلوبهم الكبيرة دقيقو الحس . . وهم مهما اشتدوا فى نقد أدواء المجتمع وعلله . يترفقون بالأفراد ولا ينسون اطلاقاً أنهم بشر ، ثم توجيههم فى هذا كله قلوبهم التى تنزع وحدها إلى الخير والرحمة . .

فالجندية والأدب ـ على ما يرى الناس ـ صناعتان تبعد بينهما الشقة ، وتضرب بينهما المشاعر

ولكن إذا أوردنا هذا . . فمن أوجب الضروريات أيضا أن نقول بأن كل صناعة فى الحياة وليدة رغبة تتأصل فى النفس ، ودراسة تستند إلى

عوامل تعين على التوفيق فى الدرس ، والتمكن من ممارسة هذه الصناعة . سواء أكان الهدف منها الهواية أو اكتساب العيش

واذا تطلعنا إلى هذه السطور تكشفت لنا الحقيقة التى تنير السبيل لكى ندرك إسراف الناس فى التفرقة بين صناعة وأخرى ، أو ـ فى زعمى ـ استحالة التآلف بين صناعة وصناعة ، إذا شئت الوجه الأصح للحديث . . !

فليس اذن مدعاة للدهش إذا استطاع بعض الناس أن يجمع بين صناعتين ، أو أن يبرز فى فنين . . وليس هذا لأن له شخصيتين يتجاذبانه وانما لأن فى نفسه هواية الأمرين . ثم هو بعد هذا يمتلك المقدرة على الكفاح للنجاح فى الصناعتين

بيد أنه مهما تباينت الصناعات فى رأى الناس . . فهل من الصحيح أن بين صناعة الجندية وصناعة الأدب تنافراً ! ؟

فى الواقع لا .

والسيف كالقلم كلاهما بتار قاطع . . وكلاهما له اصداؤه البعيدة . وكل منهما يكمل الآخر ويقوى من ساعده . .

ولهذا ليس بدعاً أن نرقب على مدى صحبتنا الأيام الكثير من الجند الذين وطدوا أقدامهم فى النثر والنظم .

وإن كان البدع أن نقول ، بأن حياة الجند هى عدتهم للنجاح فى دولة الأدب والأدباء ، ووسيلتهم للتقدم فى دنيا النثر والقريض ! !

وعلة هذا فى رأينا أن حياة الجندية تضفى على نفوسهم مشاعر حساسة

لا صلة لها بما فى صناعتهم أصلا من عنف وقوة ، وما يظنه الناس فيها من دماء ودموع . .

والواقع أن الجندى ليس كما يصوره الناس ـ فى وقت خاص ولغرض خاص ـ بالثائر على المجتمع ، الكافر بحماله وروعته ، الناقم على هدوئه وسكينته . .

وليس الجندى كائنة ما كانت الأمة التى ينتسب اليها بحكم الاقامة أو المولد بالتواق الى اللهيب المتقد ، يمشى على جثث دامية ، ويستعذب رؤية الدم المسفوك ، ويطرب لصرخات الفزع والألم

فالجندى انسان قبل كل شىء ، وهو فى صناعته يدافع عن قضية عامة يؤمن بعدالتها ، ويعرف عن ثقة أن ما فى الحياة التى يحياها من دماء ودموع انما هو الوسيلة الوحيدة لكسب قضيته من جهة ، ثم للحصول على حق البقاء لنفسه . . الغريزة التى ولدت مع الانسان عندما تفتحت عيناه لإجتلاء أضواء العالم الذى نعيش فيه . . .

والحياة اذا كانت رخيصة فى نظر الجندى للفداء ، فهى غاليه فى نظر الجندى نفسه ينبغى ألا تباع بثمن بخس ، والجندى ينفق من عرقه وصحته ما ينفقه كل فرد ، وهو اذا نسى نفسه فى حومة القتال فتجرد من مشاعره ، فانه يذكر كل حس وكل عاطفة . . عند ما تسكن الحركة فى ميدان النضال .

والقتال ـ على ما فيه من روعة ـ بغيض اكل نفس . فالأصل فى الحياة البقاء لا الفناء . والقصد من التنافس تحسين الانتاج لا التماسك بالأيدى . بيد أن سنة الحياة مع دورات الفلك أن يختلف الناس على أى شىء وعلى

كل شيء فيتقاتلوا ، والا لكانوا أمة واحدة ، وما كان هذا على الله بكثير ..

ولكن حياة القتال مع ما فيها من مخاوف أخاذة ، وفى الأرض الموحشة عندما تكون الأرواح فوق الأكف تضيع مع كل لفحة من لفحات الهواء أخيلة توحى بالكثير من المعانى ..

والقصيدة المريرة فى هذه الحياة لها بدورها أصداء تتجاوب فى هذه النفوس المرهفة الحس ، العنيفة المظهر . وللوحدة القاسية مع الصراع بين الأمل والرجاء ، والمخاوف والفناء ، وحيها الذى تنقله النفس الى غيرها من النفوس الآمنة ، ثم بعد هذا كله لهذه وتلك .. دوافعها التى ترغم الفرد على أن يكون ترجماناً لغيره ممن يشعرون بحسه .

وهنا تكمن المؤثرات التى توجد الجنود الأدباء والشعراء ..

بل من هنا كانت هذه الصور كلها هى التى تعبد الطريق لرجال الجندية للنجاح فى دولة الأدب . ثم هى بعد ذلك التى تجعلهم أميل الى الواقع ، فهم لا يسرفون فى الألفاظ اللهم الا فى بعض نواحى القصيد عند وصف مثار النقع تحت ظلال السيوف .. وهذا وحده يقربهم الى نفوس القراء وقلوبهم